

## تفريغ لدورة

### [مناهج واتجاهات المفسرين]

لفضيلة الدكتور / مساعد بن سليمان الطيار  
(هذا الجزء خاص بمناهج المفسرين))

اعتنى بإخراجها/ عبدالرحمن بن عادل المشد

المدينة المنورة

١٤٣٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده وبعد ؛  
فهذا تفرغ لدورة بعنوان " مناهج واتجاهات المفسرين " لفضيلة الشيخ  
الدكتور / مساعد بن سليمان الطيار - حفظه الله - والتي كانت ضمن  
الدورة العلمية العاشرة بجامعة الملك عبد العزيز بحي المعابدة بمكة  
المكرمة ، وقد تمَّ تفرغ هذه المادة ثم صياغتها صياغةً علميةً قدر  
المستطاع ليسهل تناولها والاستفادة منها ، وهذا هو الجزء الخاص بمناهج  
المفسرين .  
أسأل الله ﷻ أن ينفع بها وأن يبارك في شيخنا الكريم وأن يمدَّ في عمره  
ويحسن في عمله إنه سميع الدعاء .

جمع وترتيب

عبدالرحمن بن عادل المشد

المدينة المنورة ١٥ شوال ١٤٣٢ هـ

## بيان معنى ( المنهج - المفسر - الاتجاه )

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ؛  
فهذه الدروس بمشيئة الله ستكون منقسمة إلى قسمين : -

القسم الأول : مناهج المفسرين ، والقسم الثاني : اتجاهات التفسير .

وقبل أن نبدأ في هذا الموضوع يحسن بنا أن نعرّف ثلاثة مصطلحات : ( ١- المنهج . ٢- المفسر . ٣- الاتجاه ) .

أولاً ( المنهج ) :- مأخوذ من مادة ( نَهَجَ ) ، والنهَج هو : الطريق . فمناهج المفسرين من حيث التركيب اللغوي معناها : طرق المفسرين .

و هذه الطرق التي نبحثها في مناهج المفسرين تتعدد من جهة التنوع الفنيّ فهي تبحث عن ما كتبه المفسر من بداية كتابه إلى نهايته ، وكيف سار في تفسيره ؟ وكيف يذكر المعلومات سواءً كانت معلومات مرتبطة بالتفسير أو بعلوم القرآن ، أو معلومات عامة داخلية في كتابه ؟ وما هي مصادره في كتابه ؟ وغير ذلك من الموضوعات التي تشكّل لنا ما يسمّى بـ " مناهج المفسرين " ، وسنأتي إلى قضية المناهج ونفصل فيها أكثر لكن ما ذكرناه هنا تعريف بها فقط .

ثانياً ( المفسر ) :- عندما نتكلم عن قضية مناهج المفسرين يُطرح علينا سؤال : من الذي يطلق عليه مفسر بعد النبي ﷺ ؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال نضرب أمثلة توضح هذه الفكرة : الإمام السيوطي في كتابه " الدر المنثور " جمع المرويات والتفسير عن النبي ﷺ ثم عن الصحابة ثم عن التابعين ثم عن أتباع التابعين و ليس له أيّ رأيٍ إلا لجمع ، كذلك الإمام ابن أبي حاتم في تفسيره جمع ما صح عنده عن النبي ﷺ و عن الصحابة و التابعين و أتباعهم ، وليس ليس له رأيٍ أيضاً بل مجرد الرواية فقط ، و مثلهما أيضاً تفسير عبد الرزاق ، وابن المنذر ؛ فهذه الكتب اعتمدت جمع المرويّ عن الصحابة أو التابعين أو أتباع التابعين دون أن يكون لهم رأى في هذه المرويات فبعض العلماء يطلق على هؤلاء لفظ " المفسر " باعتبار أنهم نقلة للتفسير ، لكن في هذا الإطلاق تجاوز في التعبير ؛ لأن الناقل للتفسير ليس مفسراً لأنه ليس صاحب رأيٍ ، والمفسر هو الذي له رأيٍ فيما يرويّه ، فعندما تأتي مثلاً إلى ابن عباس ؓ نجده صاحب رأيٍ وليس ناقلاً فقط ، كذلك مجاهد نجده نقل التفسير عن ابن عباس ؓ وكان له رأى أيضاً وليس ناقلاً فقط ، وعندما تأتي للطبري و ابن كثير - رحمهما الله - نجدهما ينقلان ولهما رأيٍ أيضاً ، فالذي يُبرز المفسر هو رأيه ولو كان ناقلاً ؛ لأن المفسر لا يمكن أن يتجرد من النقل إلا أن يبتدع من هواه ، والذي يتبع طريقة العلماء لا بد أن يكون جامعاً بين النقل والرأي أمّا إذا كان عمله هو النقل المحض للآثار وليس له أي دور في الاختيار فهو جامعٌ و ناقلٌ للروايات فقط وليس مفسراً .

و الذي أريد أن أصل إليه مما أصلته هنا أننا عندما نتكلم عن مناهج المفسرين فسيكون هناك تجوّز في دخول نقلة التفسير في مناهج المفسرين .

ثالثاً ( الاتجاهات ):- يرى بعض الدارسين أن الاتجاهات والمناهج مترابطة لكنّ الأولى الفصلُ بينهما ، فالمنهج هو الطريقة ، أمّا الاتجاه فيبحث في الوجهة العلمية للمفسّر ، و ما من تفسير إلا ويبرز في بعض الجوانب العلمية و بروزه في هذا الجانب يجعل الباحث يصنّفه في هذا الاتجاه ، فمثلاً تفسير " البحر المحيط " لأبي حيان الأندلسي يغلب عليه الاتجاه النحوي ، وليس معنى هذا أن تفسيره ليس فيه فقه أو لغة أو أثر ، و إنما هذا بالنظر إلى ما غلب على تفسيره .

فيلاحظ أننا في الاتجاهات ننظر إلى العلم الذي يبرز على التفسير فنصنّف الكتاب فيه ، و يمكن أن نصنّف كتاباً في أكثر من اتجاهٍ علميٍّ كتفسير الزمخشري يُنسب إلى الاتجاه البلاغيّ لأنه من أوائل من برع في هذا العلم ، و الاتجاه اللغوي أيضاً موجود فيه واتجاه النحو كذلك .

وهناك ملحوظ آخر مرتبط بالاتجاهات نسميه " الاتجاه العقدي " يمكن أن نقسّم التفاسير بناءً عليه لأنه ما من مُفسّرٍ إلا وقد أظهر معتقده من خلال تفسيره سواءً كان صحيحاً أو خطأً فمثلاً تفسير الرازي ينسب إلى الاتجاه الأشعري ومثله أبو حيان والطاهر بن عاشور ، وتفسير الزمخشري ينسب إلى الاعتزال وكذلك الرقاني ، أمّا تفسير الطبري و ابن كثير و السعدي فتنسب لأهل السنّة .

وقد يقول قائلٌ : هل يمكن أن نصنّف التفاسير المعاصرة مثل تفسير " المنار " لمحمد رشيد رضا بناءً على هذا الاتجاه العقديّ ؟ فنقول : إن هذا أمرٌ صعبٌ لأن هذا التفسير فيه خلط ففيه شيء من أهل السنّة وفيه شيء من الكلام فيصعب أن تصنّفه ، لكن بعض التفاسير المعاصرة تسمي بـ " المدرسة العقلية " ، وبعض هذا المصطلحات والنسب لا يلزم أن تكون صادقةً صدقاً تاماً لأن العقل مع أهل الشرع فعندما نقول " المدرسة العقلية " لا يعني هذا أن غيرهم أهل جهلٍ ، ولكن غلب هذا المصطلح على هؤلاء و إلا فالملتزمين بالشرع هم أصحاب العقل الصحيح .

وهذا جاء أيضاً على باب الظن كمسألة اصطلاحية لأن العقل ممدوح أصلاً لكن هكذا اشتهرت مثل هذه المصطلحات ولم يشنّع عليها فينبغي التنبيه لهذا .

وهناك اتجاه آخر يتعلق بالمذهب الفقهيّ للمفسّر فالأصل أنه ما من مفسّر - خصوصاً بعد المذاهب الأربعة - إلا ويكون منتبهاً إلى مذهب فقهيّ ؛ فالماوردي مثلاً ينتمي إلى المذهب الشافعيّ في تفسيره " النكت والعيون " ، والقرطبي في تفسيره " الجامع لأحكام القرآن " ينتمي إلى المذهب المالكي .

ونذكر هنا قاعدة مهمة وهي : أن المفسّر ينحو غالباً إلى المذهب الذي تتلمذ عليه في تفسيره ولا يتصوّر إطلاقاً أن تجد أحد المفسّرين تتلمذ للمذهب الحنفيّ ثم مال في تفسيره إلى المذهب المالكي ، لكنه قد يذكر المذاهب الأخرى ويغلب عليه في النهاية مذهبه الذي تتلمذ عليه كما في تفسير القرطبي فإنه يذكر المذاهب الفقهيّة لكنه في النهاية يميل إلى المذهب المالكي .

وعند تصنيف التفاسير بناءً على هذا الاتجاه الفقهيّ نجد بعضها لا يمكن أن ننسبه إلى أحد هذه المذاهب لعدم بروز مذهبه الفقهيّ ، أو لوجوده قبل هذه المذاهب أصلاً فمثلاً تفسير عطاء بن أبي رباح لا يمكن أن ننسبه إلى

أحد هذه المذاهب الفقهية لأنه كان قبل ظهورها ، أو لكون هذه المذاهب الفقهية كانت موجودةً في زمن المفسّر لكن الاختلاف لم يكن قوياً ؛ فالإمام الطبري مثلاً في تفسيره لا يمكن أن تنسبه إلى مذهب فقهيّ من هذه المذاهب وإن كان بعضهم ينسبه إلى المالكيّة لكن الصواب أنه كان مجتهداً ولا يصح نسبته إلى مذهب معيّن . هذا باختصار ما يتعلق بهذه المصطلحات الثلاثة ( المنهج ، والمفسّر ، والاتجاه ) .

## المسائل التي تبحث لبيان منهج المفسر

سبق أن قرنا أن المنهج هو الطريقة التي يسير عليها المفسر في كتابه فعندما نأتى لدراسة منهج لأحد المفسرين

فما هي المسائل التي نتناولها لبيان منهجه في كتابه ؟

فنقول : إن طريقة البحث المعاصرة أن تُدرس أولاً قضيةً نظريّةً تتعلق بحياة المفسر وأحداث عصره ، و يحسن بنا أن ننتبه إلى قضية في هذه الطريقة المعاصرة من حيث دراسة الأحداث التي عاشها المفسر وإن وجدت في تفسيره لكن ينبغي أن نعرف أنه لا يلزم المفسر أن يصطبغ تفسيره بهذه الأحداث ، ولا يلزم أن نجد فيها تاريخ خاص للمؤلف ؛ لأن التفسير عند المتقدمين كان بحثاً علمياً ولم يكن مظنةً لإظهار الآراء الشخصية للمؤلف فلا يلزم المفسر عندما يأتي لآية معينة أن يذكر الوقائع التي حدثت في وقته لأن مهمته بيان معاني الآيات فقط .

وإنما أقول هذا لأن بعض من أسس للتفسير الموضوعي نعى على بعض المفسرين لأنهم لم يدخلوا قضايا عصرهم في التفسير و جعل هذا خللاً عند المفسر ، وهذا من أخطاء البحث العلمي المعاصر .

وأحياناً يلزمون المفسر بما لم يلتزمه فتجد أحدهم مثلاً ينتقد تفسير الماوردي بأنه لم ينتقد الروايات الإسرائيلية ؛ في حين أن الماوردي لم يشترط على نفسه أن يعلق على الروايات الإسرائيلية ، و هذا عندي ليس نقداً صحيحاً وإنما افتيات على المؤلف فلا ينبغي أن نلزمه بما لم يلزم به نفسه .

وأحياناً تُفتعل قضيةٌ ثم يُنعى على المؤلف لأنه لم يتطرق لها مثل قضية الأحداث المعاصرة التي ذكرناها قبل قليل ويُقال إن المؤلف أصابه قصور في تفسيره لأنه لم يعالج قضايا عصره ، وهذه من المسائل التي لا يلزم بها المفسر لأن المفسر في حقيقته مبين لكلام الله ﷻ .

والواجب أن يكون البحث موضوعياً متناسقاً مع الأفكار العلمية فلا نفتعل قضايا من عند أنفسنا ، ولا نُلزم المؤلفين بما لم يُلزموا به أنفسهم ، أما لو اشترط المؤلف على نفسه شيئاً معيناً ولم يلتزم به فهنا ننبه أنه لم يلتزم بما اشترطه .

### المسألة الثانية : عقيدة المؤلف ومذهبه الفقهي

ودراسة هذه المسألة لها أثر ظاهر على التفسير فتجد المفسر يتجه إلى القضايا المتناسبة مع مذهبه الذي يميل إليه و يحاول أن يُردّ الأقوال المخالفة له وهذا يتضح في بعض كتب أحكام القرآن فبعضهم يتهجم على المذاهب الأخرى لكن هذا مما يرجع إلى طبائع النفوس وليس من العدل في شيء وإنما يجب التواضع والأدب مع العلماء واحترام أقوالهم وإن كان هذا لا يعني عدم الاعتراض عليها إذا كانت مخالفةً للحق فلا بد من الاعتدال والإنصاف .

### المسألة الثالثة : مكانة المفسر العلمية

ودراسة هذه القضية من الموضوعات المهمة لبيان المنهج ؛ فمثلاً لو جئنا إلى الإمام ابن كثير نجدده عالماً متفناً في كثير من العلوم بخلاف غيره كالأحادي مثلاً فقد أفنى عمره في علم العربية في أول حياته ثم صار إلى التفسير ، فالمكانة العلمية للمفسر تظهر على تفسيره وصاحب التنوع لا شك أنه يكون أكثر إثراءً في كتابه ممن ليس له تنوع في العلوم .

## المسألة الرابعة : مصادر المؤلف في التفسير

و دراسة هذه المصادر مهمة جداً لأنها تُظهر لنا إن كان المؤلف صاحب رأيٍ أو ناقلاً ، و تفيدنا أيضاً في معرفة قدر فهم المؤلف لعبارة من نقل عنهم لأنه مع جلاله العلماء فقد يقع لأحدهم خطأ في النظر أو عدم إدراكٍ لمسألة معينة لكونه في تلك اللحظة لم يقرأ جيداً أو وهمَ في قراءة النص فيستدرك عليه .  
ومعرفة المصادر أيضاً لها فائدة استطرادية لمن أراد أن يوازن بين النص المنقول والنص الموجود في الكتاب لأنك أحياناً تجد نصوصاً منقولةً عن بعض المصادر الموجودة بين أيدينا لكنها غير موجودة فيها مما يدل على أن الكتاب المطبوع فيه ناقصٌ .

ومما يُلاحظ في هذه القضية أن بعض المفسرين يأخذ ممن سبقه دون الإشارة إليه فمثلاً عندما نعقد موازنة بين تفسير " فتح البيان " لمحمد صديق خان و تفسير " فتح القدير " للشوكاني قبله ، و " أحكام القرآن " للقرطبي ؛ نجد أن القرطبي اعتمد على بعض المصادر كتفسير " المحرر الوجيز " لابن عطية و " أحكام القرآن " لابن العربي وغيرهما فينقل منها بالنص أحياناً أو بأداء المعنى الموجود فيها فتجد شيئاً من التداخل ، ثم جاء الشوكاني و لخص كثيراً مما في القرطبي وأضاف عليه وإن كان يلحظ عليه - رحمه الله - أنه لما لخص لم يُلخص ففقد كتابه الترتيب الذي كان موجوداً عند القرطبي فعندما تقرأ في " فتح القدير " للشوكاني تجد أن المعلومات مشوشة و عندما تقرأ في كتاب " الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي تجدها منظمةً لأن القرطبي كان منظماً ، أمّا صديق خان - رحمه الله - فقد كان معجباً إعجاباً كبيراً بالشوكاني و نقل كثيراً من علمه .

والإشكال الذي يحدث في مثل هذا هو تسرب الأخطاء فتجد الخطأ الذي وقع فيه أحدهم قد تكرر عند غيره ، فمثلاً عندما نقرأ تفسير آية الكرسي في تفسير ابن جرير الطبري - رحمه الله - يقع إشكال هل المراد عنده بالكرسي : العلم ، أم المراد بالكرسي : المخلوق الذي جاءت به الآثار ؟ فالطبري - رحمه الله - ابتداءً كلامه بأن الصحيح أن الكرسي هو : المخلوق الذي جاءت به الآثار وذكر أثراً ولم يخرج منه ثم ذكر ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه : العلم ، فجاء أبو جعفر النحاس - وكثيراً ما ينسب إلى الطبري - و نسب إلى الطبري القول بأن الكرسي هو : العلم ، و ابن عطية في " المحرر الوجيز " نسب إلى الطبري هذا القول أيضاً ، ونقل القرطبي من ابن عطية هذا القول ، ثم نقله الشوكاني في " فتح القدير " من القرطبي ؛ فمن هنا حدث اللبس وعندما يقول أحد الناس : إن العلماء قد نسبوا إلى ابن جرير القول بأن الكرسي هو : العلم منهم ابن عطية والقرطبي والشوكاني ؛ فهذا خطأ لأن الذي نسب هذا القول إلى ابن جرير الطبري هو ابن عطية ثم نقل هؤلاء العلماء عن ابن عطية ، والذي بيّن لنا هذا اللبس إنما هو معرفة المصدر .

والصحيح أن ابن جرير الطبري لم يقل بأن الكرسي هو العلم وإن كانت عبارته موهمة لكنه ذكر أن الصحيح ما تدل عليه الآثار ، ثم بيّن وجه القول الآخر .

### المسألة الخامسة : كيفية تعامل المفسّر مع أقوال المفسرين

وقضية تعامل المفسّر مع أقوال المفسّرين - بغض النظر عن أقوال السلف - من القضايا التي ينبغي الاعتناء بها ، و يبحث أيضاً في كيفية تعامله مع أقوال المخالفين ، و كيف يسوغ عبارته حينما يتكلم عن قولٍ ظهر له أن فيه ضعف و قد نسب إلى ابن عباس رضي الله عنه ؟ فهل سيقول : أخطأ ابن عباس في هذه الآية ؟ لاشك أن مثل هذه العبارة ليس فيها تأدب مع السلف ، والغالب أن هؤلاء المفسّرين يعودون طالب العلم كيف يتعامل مع عبارات العلماء ، ولا يقول قائل : إن بعضهم قد يشنّع في عباراته ؛ لأن الذين يشنعون في العبارات معروفون ، لكن لو قرأت كلام العلماء تجد فيه الأدب مع السلف ولهذا عندما تقرأ في " جامع التفاسير " للراغب الأصفهاني تجده قد نَبّه على أهمية التأدب مع أقوال المفسرين السابقين ومعرفة وجوه أقوالهم إن كان لها وجه لأنه قد يخفى عليك ولا يكون رأيك صواباً فهذا مما يتنبه إليه في دراسة المنهج .

### المسألة السادسة : طريقة المفسّر في تأليفه للكتاب

من القضايا التي تُبحث أيضاً عند بيان منهج المفسّر طريقته في تأليف الكتاب فننظر هل يفسر كل آية لوحدها ؟ ، و هل يفسر كل لفظة ؟ ، و هل يلتزم بترتيب الآيات عند تفسيرها أم ينتقل دون مراعاة للترتيب ؟ و هل يذكر الآية كاملةً أم يجزئها ؟ ، و هل له في تجزيته طريقة معينة ؟ أم أنه يذكر جملة من الآيات كما يفعل بعضهم فيذكر خمس أو عشر آيات ثم يبدأ بالإعراب ثم يذكر الوقوف ثم الأحكام ثم يذكر المعنى بعد ذلك ، وهذه الطريقة يفعلها أغلب المفسرين .

ومن التفاسير التي تتميز بحسن الترتيب تفسير الحوفي والرماني والماوردي وابن الجوزي ، أمّا الموسوعات ففي الغالب أن المعلومات فيها تكون متداخلة ، وهذا يتضح عند المقارنة مثلاً بين تفسير ابن عطية وبين تفسير الحوفي مع أن ابن عطية ذكر في مقدمته أنه سيتتبع الآيات آيةً آيةً ، فالمقصود أن هذه القضية قضية وصفية تتعلق بطريقة المفسّر في كتابه .

### المسألة السابعة : مادة المفسّر العلمية

وهذه المسألة تتعلق بالمسألة السابقة ، والملاحظ أننا نجد كثيراً من المفسرين يفسّر سورة البقرة مثلاً في مجلدٍ كاملٍ ويفسّر باقي القرآن في سبع مجلدات ، وهذا يدل على أنه زاد المادة العلمية في البداية ثم قلّلها فترك النكات النحوية والبلاغية وغيرها مما كان يذكره في البداية بخلاف من يبدأ كتابه بنهْمٍ ويحتمه بنهم كالتاهر بن عاشور في كتابه " التحرير والتنوير " والسمين الحلبي في " الدر المصون " فالأداء فيهما يكاد أن يكون واحداً من أول الكتاب إلى آخره .

### المسألة الثامنة : القيمة العلمية للتفسير

وهذه المسألة من آخر المسائل التي تبحث عند دراسة منهج المفسّر ، و يبحث فيها عن ما يميز هذا التفسير عن غيره لأن الأصل أنه حينما يكتب أحد المؤلفين تفسيراً ويكون له فيه رأي فإنه يتميز عن غيره ؛ فعقل الطبري

مثلاً ليس كعقل ابن كثير فلا بد أن يكون هناك ما يميز تفسير كلٍ منهما عن الآخر فتجد الطبري يتميز عن ابن كثير بكثرة المرويات ، وتجد ابن كثير يتميز عن الطبري ببراعته في استعمال السنة النبوية في تفسيره للآيات . ومن القضايا التي تبحث في هذه المسألة قضية المآخذ على المؤلف ، و السؤال هو : هل يلزم أن نجد شيئاً يؤخذ على المؤلف ؟ فنقول : أمّا من جهة البحث العلمي الصحيح فلا يلزم ، و أمّا البحث المعاصر فلا بد من إيجاد مآخذ على المؤلف وإلا لصار البحث نافقاً ، وهذا الخطأ ينتج من بحث المنهج قبل المنهج فتجد الباحث يتصور وجود مآخذ على المؤلف قبل أن يبحث في منهجه فيقع في الخطأ .

والمآخذ لو وجدت فهي على قسمين :

أولاً : مآخذ علمية متفق عليها كقضية المخالفات العقدية .

ثانياً : مآخذ ترجع إلى وجهات النظر ، والتقصير فيها غالباً يكون من جهة الباحث وليس من المؤلف كما ذكرت مثلاً لذلك سابقاً فتجد أحدهم مثلاً يعدّ من المآخذ على تفسير ابن كثير عدم تعليقه على بعض الإسرائيليات ، مع أن ابن كثير لم يشترط على نفسه أن يعلق على الإسرائيليات لكنه علق على بعضها وترك البعض وهذا لا يعد انتقاصاً له ، وقد أخذ بعضهم على الطبري عدم نسبته للقراءات إلى أصحابها وإنما ينسبها إلى الأمصار ، وهذا في الحقيقة ليس عيباً .

وقس على هذا أمثلة كثيرة في ذكر عيوب للمفسرين وهي في الحقيقة وجهات نظر ، والتقصير في كثير من الأحيان يكون من الباحث لأنه إما أن يكون قد افتعل قضية معينة ، أو أنه ألزم المؤلف بما لم يلزم به نفسه .

## فوائد البحث في مناهج المفسرين

إن البحث في مناهج المفسرين له عدّة فوائد من أهمها ما يلي :-

أولاً : إبراز القيمة العلمية للتفسير فنعرف ما الذى يمكن أن نستفيده من هذا التفسير دون غيره ، وهل هذا التفسير مهم أم أن غيره يغنى عنه ؛ فمثلاً لو حُيّر أحدٌ بين " فتح القدير " للشوكاني و بين " فتح البيان " لصديق حسن خان لاخترنا له الأول لأن الثاني ينقل عنه في أغلب الأحيان .

ثانياً : إبراز الإيجابيات التي تميز بها التفسير والاستفادة منها فمثلاً نجد من أبرز الإيجابيات في تفسير ابن جرير الطبري إعماله لقواعد التفسير في الترجيح ، و من أبرز الإيجابيات في تفسير ابن كثير اعتماده على السنة النبوية في بيان القرآن ، و هذه الإيجابيات يستفاد منها في دراسة الموضوع باستقلال .

ثالثاً : إبراز الملاحظ على التفسير ليتجنبها القارئ فمثلاً تفسير " النكت والعيون " للماوردي فيه نُقول عن المعتزلة فينبغي الحذر عند النقل منه فيُنظر إلى من نسب إليه التفسير فإن كان من علماء المعتزلة فلا يؤخذ القول مباشرة ، و إن كان قولاً مطلقاً لم ينسبه لأحد ورأى عليه القاريء أمارات الاعتزال فإنه يتوقف فيه ، ومن ذلك أيضاً ما يكون عند بعض المفسرين من ذكر الأحاديث الموضوعية في كتبهم وهذا مشهورٌ عند الثعلبي ، وكذلك الكشاف والواحدي فإنهم قد نقلوا في تفاسيرهم الحديث الموضوع في فضائل السور ، فإذا عُلمت هذه الملاحظ وجب على القاريء تجنبها .

رابعاً : إبراز الفروق في العلوم التي يطرحها كلُّ مفسّرٍ فإذا قارننا مثلاً بين ابن جرير الطبري و ابن كثير في قضية تفسير القرآن بالقرآن نجد أنه يظهر بصورة أوضح عند ابن كثير ، أمّا إعمال قواعد الترجيح فيظهر أكثر عند ابن جرير ، و معرفة هذه الفروق بين التفاسير تتضح من خلال دراسة مناهج المفسرين .

خامساً : إبراز الفروقات بين الاتجاهات العلمية في التفسير سواءً كانت علميةً أو فقهيةً .

سادساً : ترشيح التفاسير الصالحة للقراءة فيستغنى ببعض التفاسير عن غيرها لوجود نفس المادة العلمية فيها بشكل أكبر .

سابعاً : معرفة طريقة التفسير التي سار عليها المفسّر والاستفادة منها .

## طرق الوصول إلى منهج المفسّر

قد يسأل سائل : كيف نتوصل إلى منهج المفسّر ؟ فنقول : إن الوصول إلى منهج المفسّر له ثلاثة طرق :-  
الأولى : أن ينصّ المفسّر في مقدمة كتابه على منهجه كما في " المحرر الوجيز " لابن عطية ، و " التسهيل " لابن  
جزى وغيرهما .

الثانية : الاستقراء للكتاب من أوله إلى آخره ، و يرجع في ذلك إلى المتخصصين لمعرفةهم بكتب التفسير ؛ لأن  
هذا يختلف حتى باختلاف طلبة العلم لحرص بعضهم على جوانب معينة في كتب التفسير .  
وقد يذكر المؤلف شيئاً من منهجه في ثنايا كتابه فيقول مثلاً : ( وعادتنا في هذا الكتاب أن نفعل كذا وكذا .. )  
وهذا لا يتبين إلا باستقراء الكتاب كاملاً .

الثالثة : أن يكتب باحث في منهج من مناهج هؤلاء المفسرين .

## أنواع الدراسة في مناهج المفسرين

ذكرنا في الفصل السابق طرق معرفة مناهج المفسرين ، و إذا رجعنا إلى النوع الثالث لهذه الطرق لوجدنا أن الكتابات المعاصرة<sup>(١)</sup> في مناهج المفسرين يمكن أن نقسمها إلى قسمين :-

### القسم الأول : الدراسة الوصفية :

وتقوم هذه الدراسة غالباً على منهج الوصف العام لمنهج المؤلف بمعنى : أن الباحث يضع أمامه نقاطاً محدّدة ثم يبحث في الكتاب عن هذه النقاط المحدّدة ، والسبب في ذلك أن كتب التفسير غالباً تتفق في جملة كبيرة مما تطرحه من معلومات فهي محلّ لكثير من علوم القرآن ، فيتصور الباحث أن في هذا التفسير الذي يبحث عن منهجه تفسير للقرآن بالقرآن وتفسير للقرآن بالسنة وتفسير للقرآن بأقوال الصحابة وأقوال التابعين ، و إيراد للقراءات و النسخ و المنسوخ و المكّي والمدني و أسباب النزول ، و هذا كله يُتصور وجوده في كتب التفاسير الكبيرة ، لكن لا يتصور مثلاً عدم وجود ذلك في تفسير مثل تفسير القاسمي ؛ فإذا جاء الباحث و أراد أن يبحث في منهج القاسمي في تفسيره فإنه يضع الخطة الأولى بعد قراءة سريعة للمجلد الأول و يكون بذلك قد وضع القالب الأول لبحثه ، و في الغالب أن هذا القالب الذي وضعه يتحكم في دراسته للكتاب ، وبما أنه لم يقرأ الكتاب كاملاً ثم يستنبط الأفكار فإنك تجده بهذا الأسلوب الذي اتبعه يبحث عن أمثلة للأفكار التي وضعها و التي تتفق فيها غالب دراسة مناهج المفسرين في الدراسات المعاصرة .

و دراسة منهج المفسّر بهذه الطريقة تُفوّت معرفة الفوائد الخاصة التي تميز بها الكتاب ، كما أنها تُفوّت المنهج التحليلي للأفكار التي جمعها فلا يكون عندنا إلا الوصف ، فتجد الباحث مثلاً يذكر أن المؤلف يفسّر القرآن بالقرآن ، وهذا خطأ لأن جلّ المفسرين يفسرون القرآن بالقرآن لكن هل تفسير القرآن بالقرآن عند ابن كثير مثله عند الواحدي أو عند الرازي أو غيره؟! .

و قد حضرت جلسة لأحد الباحثين في منهج أحد التفاسير فقال الطالب للأستاذ : هل يلزم أن أقرأ تفسير فلان كله - وهو سبعة مجلدات - حتى أستخرج منهجه ؟ فقال له الأستاذ : ( لا ؛ إنما تذهب إلى المواطن التي تتوقع أن يكون للمؤلف فيها كلام عن هذه المسائل فتقرأ فيها ) .

و إذا كان البحث بهذه الطريقة فلا شك أنه سيخرج وصفيّاً ، و ليست هذه هي الطريقة الصحيحة للبحث ، إنما الطريقة الصحيحة أن يقرأ الكتاب كاملاً ثم يستخرج منه المعلومات .

ونلاحظ أيضاً عند قراءة هذه البحوث عدم وجود فوائد مبتكرة جديدة فتجد مثلاً معلومات عن عقيدة المؤلف ، ومنهجه الفقهي ، و العلوم التي تعرض لها فقط ، لكن كيف تعرض لهذا العلوم ليستفاد منها ؟ و كيف وظّفها في

(١) الدراسات المعاصرة منها دراسات مطوّلة تستقرىء الكتاب كاملاً ، ومنها دراسات قصيرة تعطى ملامح سريعة عن الكتاب ، وحدثنا الآن عن

الدراسات المطوّلة .

تفسيره ؟ ، هذا لا يمكن أن يظهر من خلال الدراسة الوصفية ، وفي الدراسات المعاصرة المطبوعة الكثير ممن سار على هذا المنهج الوصفي .

#### القسم الثاني : الدراسة التحليلية النقدية :

و هذه الدراسة التحليلية النقدية هي الجديرة بالبحث ، و تقوم أولاً على الوصف إذ لا بد من وجوده لكن دون أن يطغى على الجانب التحليلي ، فإذا طغى فإن المعلومات تكون ضعيفة لا يستفيد منها الباحث ، فكيف تكون الدراسة تحليلية إذا ؟

نقول : إن افتراض الأفكار قبل البدء في البحث يعيق الباحث عن ابتداء أفكار تخرج له أثناء القراءة ، ولا بأس من افتراض بعض الأفكار التي يكاد أن يتفق عليها كل من يدخل في تفسير القرآن لكن لا ينبغي أن تكون هذه الافتراضات قيدياً على الباحث لا يخرج عنها لأن هذا الأسلوب يورث مشكلة في البحث .

والواجب على الباحث أن يقرأ الكتاب الذي يريد أن يخرج منه مؤلفه قراءةً حرّةً متأملّةً ليخرج بنتائج جيدة قد يغفل عنها إن كان قد أعدّ قوالب للبحث ثم بدأ يبحث عن أمثلة لهذه القوالب .

فعندما نأتي مثلاً إلى تفسير القرآن بالقرآن نجد أنه لا يخلو منه كتاب من كتب التفسير ، فلو أخذنا تفسير ابن جرير الطبري وقلنا إن من مصادره تفسير القرآن بالقرآن فلا بد من بيان كيفية استفادته من هذا المصدر و كيفية توظيفه له في كتابه ؟ وعند التأمل نجده مرةً يفسّر آيةً مشكّلةً بآيةٍ أخرى ، و مرةً يستشهد في تفسير من التفاسير بآية ، و مرةً يذكر النظائر في الآيات ، و مرةً يضعّف قولاً من الأقوال بسبب آيةٍ ، و هذه الفوائد لا تخرج مع الباحث إلا إذا كان عنده قدرة للتحليل الجيد لمعرفة كيفية الاستفادة من تفسيره للقرآن بالقرآن .

و وصف المفسّر بأنه يفسر القرآن بالقرآن ليست ميزةً بذاتها ، وإنما الذي يميزه كيفية استفادته من القرآن كمصدر ، و كيفية توظيفه للقرآن في كتابه ؛ لأنه كما ذكرنا ما من مفسّر إلا ويرجع للقرآن حتى أهل البدع فإنهم يفسرون القرآن بالقرآن لكن لأنهم يذهبون إلى أن هذه الآية معناها كذا وهذه الآية معناها كذا عندهم فيحملون هذه

الآية على هذه الآية ، فمثلاً قوله ﷻ ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ الأنعام: ١٠٣ تدل

عند المعتزلة على نفي الرؤية فلو جاء مفسر معتزليّ وقال إن قوله ﷻ ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ

الْأَبْصَارَ ﴾ ﷻ يفسرها قوله ﷻ ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴾ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣ فهذا بالنسبة

لمنهجه تفسير للقرآن بالقرآن لكن تفسيره خطأ في الأولى ، و في الثانية خطأً بالنسبة لنا .

وقل مثل هذا في تفسير القرآن بالسنة أيضاً ، وما من مفسّر إلا ويستفيد من تفسير القرآن بالسنة سواء كان بالتفسير النبوي المباشر أو بعموم السنة وهو الأهم لأن التفسير النبوي المباشر نقل ، أما التفسير بعموم السنة فهو الذي يُبدع فيه المفسّر ويكون له فيه إشاراتٌ ولطائف ، ومن الفوائد المهمة أن نعرف كيف نستفيد من السنة في بيان القرآن ، وهذا نوع من أنواع بيان السنة للقرآن ، و هذا البيان يكون بقدر اطلاع المفسّر على السنة وكيفية توظيفها في بيان القرآن ، و كيفية ترجيح أو تضعيف أحد الأقوال بها وغير ذلك من أنواع الاجتهادات .

وقد جمع أحد الباحثين قرابة خمسة وعشرين أسلوباً من أساليب تفسير القرآن بالسنة وكيفية الاستفادة منها في تفسير القرآن ، و لو خرج هذا البحث لوجدنا أمثلة كثيرة يمكن للإنسان أن يستفيد منها عند قراءته في سنة النبي ﷺ فهذا الحديث يتناسب مع هذه الآية ، وهذا يتناسب مع هذه الآية وغير ذلك .

ومن أمثلة بيان السنة للقرآن ما ذكره ابن كثير عند قوله ﷺ ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ ﴾ عيسى: ١٣- ١٤ فقد فسر بعض المفسرين (( السفره )) بأنهم : الذين يكتبون الوحي للرسول ﷺ ، و فسرها بعضهم بأنهم : الملائكة ، و يقوّي القول الثاني حديث النبي ﷺ (( من قرأ القرآن وهو ماهر به مع السفره الكرام البررة )) فنلاحظ أن لفظ السفره جاء في الحديث وصفاً للملائكة ، فحمل هذا الوصف الذي جاء في القرآن على الملائكة أولى من حملة على كتبة الصحابة لهذا الحديث المذكور ، وهذا نوع من أنواع الاستفادة من السنة النبوية في تفسير القرآن .

وقل مثل هذا أيضاً في كيفية الاستفادة المفسّر وتوظيفه للغة و السيرة النبوية و أسباب النزول و القصص وغير ذلك من العلوم ، فهذا هو المقصد من الدراسة التحليلية لمنهج المفسّر ، ولنضرب مثلاً أخيراً لكيفية هذه الدراسة بعلم النحو ، فغالب المفسرين يذكرون من علم النحو في كتبهم ، ووصف الكتاب بهذا فقط لا يميزه عن غيره ، بل لا بد من ذكر ما تميز به هذا التفسير عن غيره عند ذكر للفوائد النحوية ، فينظر مثلاً إلى قضية ذكر المحتملات وهل للمؤلف قاعدة في معرفتها أم لا ، وينظر كيف اعترض هذا المفسّر للجانب النحوي في مسائل التفسير وهل يذكر كل الأقوال حتى ولو كانت باطلة ؟ ، فمثلاً أبوحيان في " البحر المحيط " ضبط نفسه فلا يذكر الأقوال الشاذة والأقوال التي لا يُعوّل عليها في التركيبات النحوية وهذه ميزة لا يمكن أن تعلم إلا بقراءة كتاب أبي حيان قراءة تحليلية .

كذلك ينظر إلى التقديرات النحوية وعلاقتها بالمعنى ، فالطبري مثلاً لا يقبل من التقديرات النحوية إلا ما وافق تفسير السلف ، وهذه ميزة لا تعلم إلا بقراءة تفسيره كاملاً قراءة تحليلية لملاحظة منهجه . و المقصود أن في الدراسة التحليلية لا يكون الإنسان واصفاً فقط بل يدخل في عمق الأمثلة ويحللها ويحاول أن يستخرج طريقة المؤلف في تفسيره لهذه العلوم وكيفية استفادته منها .

## سبب اختلاف مناهج المفسرين

قد يسأل سائل : ما سبب اختلاف مناهج المفسرين ؟ وللإجابة على هذا التساؤل نرجع قليلاً إلى الوراء لنرى ما الذى غلب على تفسير السلف - رحمهم الله تعالى - فنجد أن تفسير السلف غلب عليه الاتجاه إلى بيان المعنى فقد كان حرصهم على بيان المعنى مقدّم على غيره من الفنون الأخرى ، ولو جمعنا كل ما أثر عن السلف في التفسير ورتبناه فلن يمثّل ثلث كتاب من كتب التفاسير المطوّلة التي تصل أحياناً إلى ثلاثين مجلداً .  
وبناءً على هذا لا بد أن نعرف ماهية التفسير ؟ وما الذى دخل في كتب التفسير المتأخرة بحيث تشكلت منها ووصلت إلى هذا الكم الضخم ؟

فنقول باختصار : إن التفسير في حقيقته هو : ( بيان معاني القرآن ) فإذا تمّ المعنى فقد تمّ التفسير ، أمّا إذا لم يتم المعنى فقد بقي في التفسير بقية ، وما بعد ذلك من المعلومات الموجودة في كتب التفسير هل هي من التفسير أم ليست منه ؟ هذا ما سنحرّره الآن ولنضرب لذلك مثلاً يوضح هذا المفهوم .

فمثلاً إذا قرأت قول الله ﷻ ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ (١) وأنت لا تعرف معنى (( كورت )) ولذلك فأنت لم تفهم معنى الآية ، فلو قيل لك : إن معنى (( كورت )) أى : ( جُمعت ولُتّت ) فعندئذٍ تمّ المعنى بمعرفتك معنى هذه المفردة ، أمّا إذا تكلمنا في إعراب هذه اللفظة (( كورت )) فقلنا إنها فعلٌ لفاعلٍ محذوفٍ تقديره ( إذا كورت الشمس كورت ) على تقدير بعض النحاة ، و يرى بعضهم أن (( الشمس )) مبتدأ و (( كورت )) خبر ، فذكرنا لهذه الخلافات والمعلومات النحوية لا يؤثر في بيان معنى الآية فلا يدخل في التفسير ، وهناك بعض المعلومات تتأثر الآية بفقدانها فتعدّ من تفسير الآية .

و المقصود أن هذه المعلومات إن أفادت و أثرت في بيان المعنى فهي تدخل في التفسير وإلا فليست من التفسير ، وليس معنى هذا أننا نترك هذه المعلومات التي لا تؤثر في فهم المعنى ولا نقبلها بل نقول : إن هذه المعلومات مفيدة في موضوع معيّن وهو علم النحو ، أما في باب التفسير فليست مفيدة .

## دراسة تطبيقية لمناهج المفسرين

### من خلال مقدمة أبي حيان الأندلسي في تفسيره " البحر المحيط "

تناولنا في الفصل السابق دراسة نظرية حول " مناهج المفسرين " ، وفي هذا الفصل نتناول تطبيقاً لهذا الموضوع من خلال مقدمة أبي حيان الأندلسي في تفسيره " البحر المحيط " مع دراسة بعض النماذج من تفسيره .  
تعريف مختصر بالمؤلف وكتابه :

هو محمد بن يوسف الشهير بـ " أبي حيان الأندلسي " ، ولد في غرناطة سنة أربع وخمسين وستمائة ، وكانت وفاته سنة أربع وخمسين وسبعمائة .

سكن مصر في آخر حياته ، والتقى بشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ودار بينهما حديث وكان معجباً بشيخ الإسلام حتى ذكر له شيخ الإسلام أن في كتاب سيويه أخطاء كما جاء في إحدى الروايات أن شيخ الإسلام قال له : ( لا تعلمها أنت ولا سيويه ) ، وكان أبو حيان معظماً لسيويه فلم تعجبه هذه الكلمة فانتقل إعجابه بشيخ الإسلام إلى ضده ، ولا شك أن هذا مما يقع بسبب طبائع النفوس وإلا فالأجدر بأهل الإسلام و أهل العلم منهم خصوصاً أن يكون بينهم من المودة والرحمة ما بينهم .

و هذا الكتاب يعتبر في الحقيقة من الكتب النفيسة في علم التفسير خصوصاً أن مؤلفه ممن تضلّع في علم العربية وكان له فيها باع طويل ويظهر من خلال قراءتنا لبعض ما في مقدمته أن هذا العلم هو أهمّ علوم المؤلف .

قال المؤلف - رحمه الله - : [ وما زال يختلج في ذكري ، ويعتلج في فكري ، أني إذا بلغت الأمد الذي يتغضد فيه الأديم ، ويتغصص برؤيتي النديم ، وهو العقد الذي يحل عرى الشباب ، المقول فيه إذا بلغ الرجل الستين ، فيياه وايا الشواب ، ألوذ بجناب الرحمن ، وأقتصر على النظر في تفسير القرآن ، فأتاح الله لي ذلك قبل بلوغ ذلك العقد ، وبلغني ما كنت أروم من ذلك القصد ، وذلك بانتصابي مدرسا في علم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور ، قدس الله مرقده ، وبلّ بمزن الرحمة معهده ، وذلك في دولة ولده السلطان القاهر ، الملك الناصر ، الذي رد الله به الحق إلى أهله ، وأسبغ على العالم وارف ظله ، واستنقذ به الملك من غصابه ، وأقره في منيف محله وشريف نصابه ، وكان ذلك في أواخر سنة عشر وسبعمائة ، وهي أوائل سنة سبع وخمسين من عمري ، فعكفت على تصنيف هذا الكتاب ]<sup>(١)</sup>.

#### التعليق

أشار المؤلف هنا إلى أنه كان يريد إذا بلغ الستين أن يفسر القرآن ثم ذكر أنه عكف على تصنيف هذا الكتاب في أواخر سنة عشر وسبعمائة وهي أوائل سنة سبع وخمسين من عمره أي : أنه ابتداء تأليفه لهذا الكتاب قبل وفاته بخمسة وثلاثين سنة .

(١) تفسير " البحر المحيط " لأبي حيان الأندلسي ، ط . دار الكتب العلمية ، ( ١ / ٩٩ ) .

قال المؤلف - رحمه الله - : [ فعكفت على تصنيف هذا الكتاب ، وانتخاب الصفو واللباب ، أجيل الفكر فيما وضع الناس في تصانيفهم ، وأنعم النظر فيما اقترحوه من تأليفهم ، فألخص مطولها ، وأحل مشكلها ، وأقيد مطلقها ، وأفتح مغلقها ، وأجمع مبددها ، وأخلص منقدها ، وأضيف إلى ذلك ما استخرجته القوة المفكرة من لطائف علم البيان ، المطلع على إعجاز القرآن ]<sup>(١)</sup>.

#### التعليق

ذكر المؤلف هنا بعض الأفكار المنهجية في كتابه يمكن أن نلخصها في نقطتين : الأولى : أنه استفاد ممن سبقه ممن كتب في علم التفسير ، و نلاحظ أنه كان معتنياً بالتقييد ، وهذه الطريقة في استفادته من الكتب من أهم الأشياء التي ينبغي لطالب العلم أن يتعلمها سواءً في كتب علم التفسير أو غيره . الثانية : أنه سيضيف إلى هذا الكتاب إضافات خاصة به استفادها من ذات نفسه ، وخصّ هذه الفوائد بقوله [ من لطائف علم البيان ، المطلع على إعجاز القرآن ] فكأنه يعني أنه ستكون له عناية خاصة بعلم البلاغة .

\*\*\*\*\*

قال المؤلف - رحمه الله - : [ ومن دقائق علم الإعراب ، المغرب في الوجود أي إغراب ، المقتنص في الأعمار الطويلة من لسان العرب ، وبيان الأدب ، فكم حوى من لطيفة فكري مستخرجها ، ومن غريبة ذهني منتجها ، تحصلت بالعكوف على علم العربية ، والنظر في التراكيب النحوية ، والتصرف في أساليب النظم والنثر ، والتقلب في أفانين الخطب والشعر ، لم يهتد إلى إثارتها ذهن ، ولا صاب بريقها مزن ... الخ ]<sup>(٢)</sup>.

#### التعليق

بيّن المؤلف هنا أنه سيضيف في كتابه دقائق في علم الإعراب لم يُسبق إليها ، وكما بيّنا سابقاً أنه يعتني في كتابه بجانب التلخيص من كتب السابقين ، و مع ذلك أيضاً يضيف من عنده إضافات في علم البيان و علم الإعراب خصوصاً .

\*\*\*\*\*

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ١٠٠ ) .

(٢) " البحر المحيط " ( ١ / ١٠٠ ) .

قال المؤلف - رحمه الله - : [ فالكتاب هو المرقاة إلى فهم الكتاب ، إذ هو المطلع على علم الإعراب ، والمبدي من معالمه ما درس ، والمنطق من لسانه ما خرس ، والمحبي من رفاته ما رسم ، والراد من نظائره ما طمس . فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير ، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير ، أن يعتكف على كتاب سيويه ، فهو في هذا الفن المعوّل عليه ، والمستند في حل المشكلات إليه ]<sup>(١)</sup>.

#### التعليق

يشير المؤلف بالكتاب الأول إلى " كتاب سيويه " ، وهذا يوضح عنايته التامة بعلم الإعراب ، وكذلك احتفائه الخاص بكتاب سيويه كما هو ظاهر من كتابه هذا ومن كتبه الأخرى ، وقد جعله مصدراً يفهم به التفسير ، ويبيّن أن هذا العلم طريق إلى معرفة كتاب الله ﷻ ، لكنه قال بعد ذلك بعدة أسطر : [ ولنبين أن علم التفسير ليس متوقفاً على علم النحو فقط ، كما يظنه بعض الناس ، بل أكثر أئمة العربية هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة ، ولذلك قلت تصانيفهم في علم التفسير ، وقل أن ترى نحوياً بارعاً في النظم والنثر ، كما قل أن ترى بارعاً في الفصاحة يتوغل في علم النحو . وقد رأينا من ينسب للإمامة في علم النحو ، وهو لا يحسن أن ينطق بأبيات من أشعار العرب ، فضلاً عن أن يعرف مدلولها ، أو يتكلم على ما انطوت عليه من علم البلاغة والبيان . فأني لمثل هذا أن يتعاطى علم التفسير ]<sup>(٢)</sup>، فهل هذه العبارة الثانية متناقضة مع عبارته الأولى وتشديده على العناية بعلم النحو ؟

نقول : ليس هناك تناقض بين العبارتين ؛ لأن مراده في العبارة الثانية أن علم التفسير ليس متوقفاً على علم النحو فقط بل لابد من علم آخر وهو علم البيان والبلاغة ، وأن من يعتنى بعلم النحو لا يلزم أن يكون مفسراً لكن من أراد أن يفسر القرآن فلا بد أن يعتنى بعلم النحو والبلاغة .

\*\*\*\*\*

قال المؤلف - رحمه الله - : [ وأرتحل من بلد إلى بلد ، حتى ألقيت بمصر عصا التسيار ، وقلت ما بعد عبّادان من دار ، هذه مشارق الأرض ومغاربها ، وبها طوالع شموستها وغواربها ، بيضة الإسلام ، ومستقر الأعلام ، فأقمت بها لمعرفة أبدية ، وعارفة علم أسديها ، وثأي أرابه ، وفاضل أصحابه ، وبها صنفت تصانيفي ، وألفت تأليفي ، ومن بركاتها على تصنيفي لهذا الكتاب ] .

#### التعليق

نستفيد من هذا الكلام فائدةً عامةً تتعلق بتاريخ المؤلف ومكان تأليفه لهذا الكتاب ، فذكر أنه أقام مدةً بمصر وكان من بركات هذا البلد عليه تأليفه لهذا الكتاب في تفسير القرآن .

\*\*\*\*\*

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ١٠١ ) .

(٢) " البحر المحيط " ( ١ / ١١١ ) .

قال المؤلف - رحمه الله - : [ وترتبي في هذا الكتاب ، أني أبتدىء أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها ، لفظاً لفظاً ، فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب . وإذا كان للكلمة معنيان أو معانٍ ، ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة ، لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه ، فيحمل عليه ] .

#### التعليق

ابتدأ المؤلف هنا في ذكر منهجه في هذا الكتاب ، فذكر أن أول عملٍ سيقوم به هو بيان معاني الألفاظ - وهو ما يسمى بـ " غريب الألفاظ " - وبيان الأحكام النحوية لها قبل التركيب حسب ما يحتاج إليه ، فيأخذ مقطعاً طويلاً من الآيات ويذكر معاني المفردات الواردة فيه بحيث أنه يمكن أن يستخرج من كتابه معاني المفردات ، ومعلوم أن للمؤلف كتاب مستقل في مفردات القرآن سماه " تحفة الأريب في معرفة ما في القرآن من الغريب " ، ويمكن لأحد الباحثين أن يوازن بين هذا الكتاب وبين بيان المؤلف للألفاظ الغريبة في تفسيره ليتضح عمله فيهما .

\*\*\*\*\*

قال المؤلف - رحمه الله - : [ ثم أشرع في تفسير الآية ، ذاكراً سبب نزولها ، إذا كان لها سبب ، ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها ، حاشداً فيها القراءات ، شاذها ومستعملها ، ذاكراً توجيه ذلك في علم العربية ، ناقلاً أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها ، متكلماً على جليها وخفيها ، بحيث أني لا أغادر منها كلمةً ، وإن اشتهرت ، حتى أتكلم عليها ، مبدياً ما فيها من غوامض الإعراب ودقائق الآداب من بديع وبيان <sup>(١)</sup> .

#### التعليق

يفهم من قول المؤلف هنا عدم ترتيبه للمعلومات التي سيذكرها في كتابه ترتيباً معيناً وإنما يذكرها بحسب سياقات الكلام فيذكر القراءات مرةً ، وسبب النزول مرةً ، والناسخ والمنسوخ مرةً... إلى غير ذلك من العلوم دون ترتيب معين .

ثم ذكر المؤلف المعلومات التي سيذكرها من العلوم المختلفة ، و لا يلزم أن يذكر هذه العلوم في كل آية بل يذكرها بحسب ما يتيسر له منها ، و لو نظرنا في كتابه لوجدنا أنه لم يتقيد بذكر هذه المعلومات التي ذكرها في كل آية .

\*\*\*\*\*

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ١٠٣ ) .

قال المؤلف - رحمه الله - : [ مجتهداً أني لا أكرر الكلام في لفظٍ سبق ، ولا في جملةٍ تقدم الكلام عليها ، ولا في آيةٍ فسرت ، بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضوع الذي تكلم فيه على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية ، وإن عرض تكريراً فبمزيد فائدة ] .

#### التعليق

ذكر المؤلف هنا قاعدةً منهجيةً له في كتابه وهي أنه لا يكرر الكلام في لفظٍ سبق أن بيّنه فلو وردت لفظة في سورة الأنفال كلفظ (( دأب )) ووردت كذلك في سورة آل عمران ؛ فإنه يبينها في موضعها الأول من سورة آل عمران ولا يكرر الكلام عليها في سورة الأنفال ، ويحيل في ذلك أحياناً إلى الموضوع الأول الذي بينها فيه ، وإذا كرّر كلاماً فإن ذلك يكون لمزيد فائدة .

\*\*\*\*\*

قال المؤلف - رحمه الله - : [ ناقلاً أقاويل الفقهاء الأربعة ، وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني ، محيلاً على الدلائل التي في كتب الفقه ، وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقررها والاستدلال عليها على كتب النحو ]<sup>(١)</sup> .

#### التعليق

يشير المؤلف هنا أنه سينقل أقاويل المذاهب الأربعة وغيرهم في بيان الأحكام الفقهية المنصوص عليها في الآيات ، فإن كان هناك استطرادات فإنه يحيل على كتب الفقه ، و بيّن أيضاً أنه سيذكر المسائل النحوية فإن كان هناك استطرادات أو مسائل تحتاج إلى مزيد فإنه يحيل على كتب النحو .

\*\*\*\*\*

قال المؤلف - رحمه الله - : [ وربما أذكر الدليل إذا كان الحكم غريباً ، أو خلاف مشهور ما قال معظم الناس ، بادئاً بمقتضى الدليل وما دل عليه ظاهر اللفظ من حجا له لذلك ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به عنه ]<sup>(٢)</sup> .

#### التعليق

ما ذكره المؤلف هنا من ذكره للدليل إذا كان الحكم غريباً... الخ يتعلق بالفقه ، وكلامه هذا نشأ من أثر تحوله وتنقله بين المذاهب الفقهية وذلك أنه كان ظاهرياً ثم تحول إلى الحنفية ثم إلى الشافعية لكن بقي عنده تأثر كبير بما كان عليه أولاً من مذهب الظاهرية .

\*\*\*\*\*

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ١٠٣ ) .

(٢) " البحر المحيط " ( ١ / ١٠٣ ) .

قال المؤلف - رحمه الله - : [ منكياً في الإعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها ، مبيّناً أنها مما يجب أن يُعدل عنه ، وأنه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب ، إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام ، فلا يجوز فيه جميع ما يجوزه النحاة في شعر الشّماخ والطّرمّاح وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة ] <sup>(١)</sup>.

#### التعليق

بيّن المؤلف هنا منهجه في الإعراب و أنه يحمل القرآن على أكمل وأفصح الوجوه ، وهذا بالنسبة له وإلا فقد يكون أحسن الوجوه عند غيره خلاف ما ذهب إليه ، وهذه قاعدة مهمة في التعامل مع كتاب الله ﷻ فلا يجوز أن يحمل كلام الله ﷻ إلا على أحسن الوجوه وأفصحها ، وليس كما وقع عبثاً في بعض كتب أعاريب القرآن فحملوا ألفاظ القرآن على وجوه مستقبحة لا تليق بكتاب الله ﷻ ، والسبب في ذلك أنهم انطلقوا من الإعراب ولم ينطلقوا من المعنى ولم ينتبهوا إلى ما يجوز وما لا يجوز في كلام الله ﷻ .

\*\*\*\*\*

قال المؤلف - رحمه الله - : [ ثم أختتم الكلام في جملة من الآيات التي فسرتها أفراداً وتركيباً بما ذكروا فيها من علم البيان والبدیع ملخصاً ، ثم أتبع آخر الآيات بكلام منشور أشرح به مضمون تلك الآيات على ما اختاره من تلك المعاني ، ملخصاً جملها في أحسن تلخيص ، وقد ينجر معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير ، وصار ذلك أنموذجاً لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن ] <sup>(٢)</sup>.

#### التعليق

بيّن المؤلف أنه بعد ذلك يشير إلى ما في الجملة من علم البيان والبدیع المسّمى بـ " علم البلاغة " ، وبعد ذكره لهذه المعلومات من نحوٍ ولغةٍ وبلاغةٍ وغير ذلك يذكر المعنى الجمليّ للآيات على ما يختاره من المعاني ، وهذا هو المقصد الأول للتأليف في علم التفسير .

و قوله : [ وقد ينجر معها ذكر معانٍ لم تتقدم في التفسير ، وصار ذلك أنموذجاً لمن يريد أن يسلك ذلك فيما بقي من سائر القرآن ] يشير بذلك إلى أنه سيذكر هذه المعلومات من مختلف العلوم في المواضع الأولى من الآيات ليكون أنموذجاً لمن أراد أن يحتديه في بقية القرآن .

\*\*\*\*\*

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ١٠٣ ) .

(٢) " البحر المحيط " ( ١ / ١٠٣ ) .

قال المؤلف - رحمه الله - : [ وستقف على هذا المنهج الذي سلكته إن شاء الله تعالى ، وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ ، وتجنبنا كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ ، وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى وعلى عليٍّ - كرم الله وجهه - وعلى ذريته ، ويسمونه علم التأويل ] (١).

#### التعليق

يشير المؤلف أن من منهجه في كتابه أن يذكر شيئاً من كلام الصوفية إن كان فيه مناسبة لمدلول اللفظ ، وأعرض عن كثير من أقوالهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ وهي ليست صحيحة ، و ترك أيضاً أقوال الملاحدة الباطنية أصحاب القول الباطل مثل الإسماعيلية وغلاة الباطنية لأنها كما ذكر هذيان و ليس فيها أي علم على الحقيقة ، فذكره لأقوالهم يكون لانتقاضهم .

وفي تخصيصه لعليٍّ عليه السلام بقوله ( كرم الله وجهه ) أثر من آثار التشيع ، ولا يصح ما يزعمه البعض من أن تخصيص عليٍّ عليه السلام بذلك لأنه لم يسجد لصنم قط ؛ لأن غيره من الصحابة أيضاً لم يسجدوا لصنم قط كعبد الله بن الزبير وغيره من الصحابة رضي الله عنهم .

\*\*\*\*\*

قال المؤلف - رحمه الله - : [ وقد وقفت على تفسير لبعض رؤوسهم ، وهو تفسير عجيب يذكر فيه أقاويل السلف مزدرياً عليهم وذاكراً أنه ما جهل مقالاتهم ، ثم يفسر هو الآية على شيء لا يكاد يخطر في ذهن عاقل ، ويزعم أن ذلك هو المراد من هذه الآية وهذه الطائفة لا يلتفت إليها ، وقد ردّ أئمة المسلمين عليهم أقاويلهم وذلك مقرر في علم أصول الدين . نسأل الله السلامة في عقولنا وأدياننا وأبداننا ] (٢).

#### التعليق

كأن المؤلف يريد أن يقول : إن هؤلاء الطوائف من الباطنية وغيرهم يعرفون أقوال السلف لكنهم يزدروها ويزعمون أن ليس فيها علم بل ما هي إلا علم ظاهر بسيط مما يتفكه به العامة أمّا العلم الحقيقي فهو علم الباطن الذي يذكرونه هم ، وهذا موجود في كتب الباطنية والمطلع على بعض كتب الإسماعيلية وغيرهم يجد هذا واضحاً فيها .

\*\*\*\*\*

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ١٠٣ ) .

(٢) " البحر المحيط " ( ١ / ١٠٤ ) .

قال المؤلف - رحمه الله - : [ وكثيراً ما يشحن المفسرون تفاسيرهم من ذلك الإعراب ، بعلم النحو ودلائل أصول الفقه ودلائل أصول الدين ، وكل هذا مقرر في تأليف هذه العلوم ، وإنما يؤخذ ذلك مسلماً في علم التفسير دون استدلال عليه ]<sup>(١)</sup>.

#### التعليق

نستفيد من هذه العبارة نقد المؤلف لكثير من كتب التفسير عموماً ، فكثير من المفسرين يشحن كتابه بعلم النحو ودلائل أصول الفقه ودلائل أصول الدين فيجعله محطاً لأمثلة هذه القضايا ، وينتقد المؤلف هذا ويقرر أن هذه القضايا محلها تأليف هذه العلوم ، فعلم النحو ليس هو التفسير ، وعلم العقيدة ليس هو التفسير ، وعلم أصول الفقه ليس هو التفسير بل إن كل علم من هذه العلوم له مسائله وأدلته ، وحينما يكتب أحد المؤلفين كتاباً في التفسير ويشحنه بمسائل وأدلة علم من العلوم فإنه بذلك قد أضاف إلى التفسير جملةً مما ليست منه .  
أما علم التفسير فله ماهية خاصة لا يصلح أن يدخل فيها غيرها من الموضوعات ولو كانت من علوم الدين ، وتقرير هذه الموضوعات كما ذكر في تأليف هذه العلوم ، وإنما يؤخذ ذلك مسلماً في علم التفسير دون استدلال عليه ، فإذا أتينا إلى قضية نحوية أو أصولية أو غير ذلك من العلوم فإننا نأخذها مسلماً في علم التفسير دون أن نناقشها ونستدل لها ونحررها ، فمثلاً إذا جئنا إلى قوله ﷺ ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ البقرة: ٢٥٥ نذكر أن فيها دليلاً على علو الرب ﷻ ولا نناقش تفاصيل قضية العلو في علم التفسير .

\*\*\*\*\*

قال المؤلف - رحمه الله - : [ وكذلك أيضاً ذكروا ما لا يصح من أسباب نزول وأحاديث في الفضائل وحكايات لا تناسب وتواريخ إسرائيلية ، ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير ]<sup>(٢)</sup>.

#### التعليق

ذكر المؤلف هنا أيضاً نقداً عاماً لكتب التفسير ، فيرى أنه لا يصح أن يذكر في التفسير شيء فيه ضعف من جهة الأثر سواء في أسباب النزول أو أحاديث الفضائل أو الإسرائيليات ، ولا شك أن ما ذكره هنا ليس على إطلاقه .

\*\*\*\*\*

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ١٠٤ ) .

(٢) " البحر المحيط " ( ١ / ١٠٤ ) .

قال المؤلف - رحمه الله - : [ ومن أحاط بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب ، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة ، وارتقى إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه ، فلن يحتاج في فهم ما تركب من تلك الألفاظ إلى مُفهم ولا معلم ، وإنما تفاوت الناس في إدراك هذا الذي ذكرناه ، فلذلك اختلفت أفهامهم وتباينت أقوالهم . وقد جربنا الكلام يوماً مع بعض من عاصرنا ، فكان يزعم أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تراكيبه بالإسناد إلى مجاهد وطاوس وعكرمة وأضرابهم ، وأن فهم الآيات متوقف على ذلك . والعجب له أنه يرى أقوال هؤلاء كثيرة الاختلاف ، متباينة الأوصاف ، متعارضة ، ينقض بعضها بعضاً <sup>(١)</sup> .

#### التعليق

كأن المؤلف هنا يريد أن يقرّر أن من أحاط بهذه العلوم وأدركها فإنه يستطيع أن يفهم التفسير دون الرجوع إلى أقوال السابقين ؛ ولهذا قال : [ وقد جربنا الكلام يوماً مع بعض من عاصرنا ... الخ ] ويري بعض العلماء أن المراد هنا ببعض من عاصره : شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد ذكر هذا في بعض كتبه .  
و هذا الكلام الذي ذكره أبو حيان - رحمه الله - معترضٌ عليه ؛ لأن وجوه التناقض بين السلف قليلة جداً وهو ما نسميه بـ " اختلاف التضاد " ، وإنما أكثر اختلاف السلف من باب خلاف التنوع .  
ونحن الآن بين زعم من يقول إن من أدرك علم العربية يستطيع أن يدرك تفسير القرآن وبين من يقول إن علم العربية مع علم السلف مصدران مهمان من مصادر التفسير ، والقول الثاني أولى فلا ينبغي التفريط في علم اللغة ولا التفريط في علم السلف ، ولا يمكن أن يفهم تفسير السلف إلا بمعرفة اللغة ، فليس بينهما تناقض بل كلاهما مكمل لمن أراد أن يدخل في علم التفسير .

\*\*\*\*\*

#### العلوم التي يحتاج إليها المفسر<sup>(٢)</sup>

ذكر المؤلف - رحمه الله - بعد ذلك العلوم التي يحتاجها من أراد أن يفسر القرآن وذكر الكتب المفيدة في كل علم من العلوم ، فبدأ يتكلم عن علم اللغة العربية و معرفة أحكام الكلمة العربية من جهة أفرادها وتركيبها وهو ما نسميه " علم النحو " ، ثم تكلم عن علم البلاغة ، ثم أسباب النزول والنسخ وهذا يرجع فيه إلى كتب الحديث ، ثم معرفة الجمل والمفصل وهذا يرجع فيه إلى علم الأصول وعلم اللغة ، ثم الاختلاف فيما يجوز لله عَجَل وما يجب عليه وهو علم الاعتقاد إلى آخر كلامه عن هذه العلوم التي تمّمها بعلم القراءات .

\*\*\*\*\*

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ١٠٤ ) .

(٢) " البحر المحيط " ( ١ / ١٠٥ - ١١١ ) .

### حديثه عن الزمخشري وابن عطية - رحمهما الله -

قال المؤلف - رحمه الله - : [ ولما كان كتابهما في التفسير قد أنجدا وأغارا ، وأشرفا في سماء هذا العلم وأنارا ، وتنزلا من الكتب التفسيرية منزلة الإنسانية من العين ، والذهب الإبريز من العين ، وبيتمة الدر من اللالي ، وليلة القدر من الليالي ] إلى أن قال : [ وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص ، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص ، إلا أن الزمخشري قائل بالطرفة ، ومقتصر من الذؤابة على الوفرة ، وربما سرح له آبي المقادة فأعجزه اعتياصه ، ولم يمكنه لتأنيه اقتناصه ، فتركه عقلاً لمن يصطاده ، وغفلاً لمن يرتاده ]<sup>(١)</sup>.

#### التعليق

يتضح من هذه العبارات التي أوردها المؤلف ثناؤه المطلق على تفسير الزمخشري وابن عطية ، ثم ذكر بعد ذلك بعض ما يميز الكتابين فبيّن أن كتاب ابن عطية أثقل عبارة ، وأن الزمخشري أروق على المعاني البلاغية . وقوله عن الزمخشري : [ وربما سرح له آبي المقادة فأعجزه اعتياصه ] كأنه يعني أن الزمخشري لم يستطع أن يبيّن مواطن البلاغة في بعض المواضع فتركها لمن جاء بعده .

\*\*\*\*\*

قال المؤلف - رحمه الله - : [ واعتمدت في أكثر نقول كتابي هذا على كتاب (( التحرير والتجوير )) لأقوال أئمة التفسير من جمع شيخنا الصالح القدوة الأديب (( جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان بن حسن بن حسين المقدسي )) عُرف (( بابن النقيب )) - رحمه الله تعالى - إذ هو أكبر كتاب رأيناه صنّف في علم التفسير ، يبلغ في العدد مائة سفر أو يكاد إلا أنه كثير التكرير ، قليل التحرير ، مفرط الإسهاب لم يعد جامعه من نسخ كتب في كتابه كذلك كان فيه بحال التهذيب ومراد الترتيب ]<sup>(٢)</sup>.

#### التعليق

ذكر المصنف هنا مصادره في النقل وأنه يعتمد كثيراً على كتاب " التحرير والتجوير " لشيخه المعروف بـ " ابن النقيب " ، و قد سبق ذكر أبي حيان لشيخه عندما تكلم عن علم البلاغة فقال : [ الوجه الثالث : كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح ، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع وقد صنّف الناس في ذلك تصانيف كثيرة ، وأجمعها ما جمعه شيخنا الأديب الصالح أبو عبد الله (( محمد بن سليمان النقيب )) ، وذلك في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير ] ، وفي هذا المقام أنبّه على خطأ شائع في نسبة هذا الكتاب وهو أن هذين المجلدين اللذين كتبهما " ابن النقيب " قد نُسبا خطأً إلى ابن القيم في كتابه " الفوائد " وهما في الحقيقة لابن النقيب ، وقد حقق هذا الكتاب الدكتور / عادل سليمان بمكتب " الخالدي " وبيّن ذلك ،

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ١١٣ ) .

(٢) " البحر المحيط " ( ١ / ١١٤ ) .

ومما يدل أيضاً على عدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى ابن القيم أن هذا الكتاب يثبت المجاز بينما المعروف عن ابن القيم أنه لا يثبت .

ويتضح من كلام أبي حيان أن شيخه " ابن النقيب " كانت مهمته في هذا الكتاب الجمع فقط دون التحرير ، ولذلك نجد أبا حيان يذكر في تفسيره بعض الآراء وينسبها قائلًا : ( وذهب بعض من جمع في التفسير إلى كذا وكذا ) فيحتمل أن يكون مراده بهذه العبارة في كتابه شيخه " ابن النقيب " ، ومما يمكن أن يستدل به على مراده هذا عبارة ذكرها أبو حيان في كتابه قائلًا : [ وقد تقدّم القول في أدنى الكسائي : أدناً بالهمز ، ووقع البعض من جمع في التفسير ، وهم في نسبة هذه القراءة للكسائي ، فقال : وقرأ زهير والكسائي شاذًا : أدناً ، فظن أن هذه قراءة الكسائي ، وجعل زهيراً والكسائي شخصين ، وإنما هو زهير الكسائي يعرف بذلك ، وبالفرقي ، فهو رجل واحد ] <sup>(١)</sup>؛ فلو كانت هذه العبارة موجودة في كتاب " ابن النقيب " ووقع الخطأ منه فيمكن أن يستدل بذلك على أن مراد السيوطي بقوله ( ذهب بعض من جمع في التفسير ) شيخه " ابن النقيب " والله أعلم .

\*\*\*\*\*

### المفسرون من الصحابة

قال المؤلف - رحمه الله - : [ والمنقول عنه الكلام في تفسير القرآن من الصحابة جماعة ، منهم (( علي بن أبي طالب )) ، و (( عبد الله بن مسعود )) ، و (( أبي بن كعب )) ، و (( زيد بن ثابت )) ، و (( عبد الله بن عمرو بن العاص )) ، فهؤلاء مشاهير من أخذ عنه التفسير من الصحابة رضي الله عنه تعالى عنهم ، وقد نقل عن غير هؤلاء غير ما شيء من التفسير ] <sup>(٢)</sup> .

### التعليق

ذكر المؤلف هنا بعض من اشتهروا بالتفسير من الصحابة رضي الله عنهم كعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهم ، وهنا ترد عدة تساؤلات : هل هؤلاء الصحابة الذين ذكرهم اشتهر عنهم نقل التفسير ؟ و ما هو ضابط شهرة المفسرين من الصحابة ؟ ؛ وذلك لأننا إذا نظرنا مثلاً إلى الروايات المنقولة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه في التفسير نجدها قليلةً فهل يعتبر هذا الصحابي الجليل من مفسري الصحابة ؟ ، و هل يكفي إطلاق أبي حيان أو غيره أن فلاناً وفلاناً من مفسري الصحابة فنقبل ذلك منه ؟

وقد يقول قائل : إن معرفة هذا ليس له ثمرة كبيرة ، لكننا نقول : إن معرفة هذا مهم من جهة ضبط المعلومات ، أما أن ننسب أحداً إلى علم معين لكونه من الصحابة فقط فهذا لا يصح علمياً .

\*\*\*\*\*

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ٣٩٦ ) .

(٢) " البحر المحيط " ( ١ / ١١٩ ) .

## المفسّرون من التابعين

### ومنهج التفسير في العصور المتقدمة له والمتأخرة

قال المؤلف - رحمه الله - : [ ومن المتكلمين في التفسير من التابعين ، الحسن بن أبي الحسن ، و مجاهد بن جبر ، و سعيد بن جبیر ، و علقمة ، و الضحاک بن مزاحم ، و السدي ، و أبو صالح ، وكان الشعبي يطعن على السدي و أبي صالح ، لأنه كان يراهما مقصرين في النظر . ثم تتابع الناس في التفسير وألفوا فيه التأليف ، وكانت تأليف المتقدمين أكثرها إنما هي شرح لغة ، ونقل سبب ، ونسخ ، و قصص ، لأنهم كانوا قريبي عهد بالعرب ، وبلسان العرب ، فلما فسد اللسان وكثرت العجم ، ودخل في دين الإسلام أنواع الأمم المختلفو الألسنة ، والناقصو الإدراك احتاج المتأخرون إلى إظهار ما انطوى عليه كتاب الله تعالى من غرائب التركيب ، وانتزاع المعاني وإبراز النكت البيانية ، حتى يدرك ذلك من لم تكن في طبعه ، ويكتسها من لم تكن نشأته عليها ، ولا عنصره يحركه إليها ، بخلاف الصحابة والتابعين من العرب ، فإن ذلك كان مركزاً في طباعهم يدركون تلك المعاني كلها من غير موقف ولا معلم ، لأن ذلك لسانهم وخطتهم وبيانهم ، على أنهم كانوا يتفاوتون أيضاً في الفصاحة وفي البيان ، ألا ترى إلى قوله ( صلى الله عليه وسلم ) حين سمع كلام ( عمرو بن الأهتم ) في ( الزيرقان ) : إن من البيان لسحراً ، وقد أشرنا فيما تقدم إلى تفاوت العرب في الفصاحة ]<sup>(١)</sup>.

### التعليق

إلى هنا يمكن القول بأن أبا حيان - رحمه الله - قد بيّن لنا المذهب العام الذي سيسير عليه في تفسيره ، ونأخذ الآن بعض النماذج من كتابه لنرى هل ذكر في ثنايا كتابه شيئاً يرتبط بمنهجه ولم يذكره في المقدمة أم لا ، وهل التزم بالمنهج الذي ذكره في مقدمته أم خالفه .

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ١١٩ ) .

النموذج الأول : قال المؤلف - رحمه الله - عند كلامه على البسمة : [ وقد تعرض المفسرون في كتبهم لحكم التسمية في الصلاة وذكروا اختلاف العلماء في ذلك وأطالوا التفاريع في ذلك وكذلك فعلوا في غير ما آية وموضوع هذا كتب الفقه وكذلك تكلم بعضهم على التعوذ وعلى حكمه وليس من القرآن بإجماع . ونحن في كتابنا هذا لا نتعرض لحكم شرعي إلا إذا كان لفظ القرآن يدل على ذلك الحكم أو يمكن استنباطه منه بوجه من وجوه الاستنباطات ] <sup>(١)</sup>.

#### التعليق

بيّن المؤلف هنا منهجه في التعامل مع آيات الأحكام ؛ فما نصّ عليه القرآن أو أمكن استفادته من وجوه الاستنباطات فإنه يذكره ، أمّا ما ليس له علاقة بالآية فلا يذكره ، وهذا التقييد الذي ذكره في تعامله مع آيات الأحكام لم ينصّ عليه في مقدمة كتابه .

\*\*\*\*\*

النموذج الثاني : قال المؤلف - رحمه الله - عند تفسيره لقول الله ﷻ **وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَيَّ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ** البقرة: ٢٣: [ وقد تعرض الزمخشري هنا لذكر فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً ، وليس ذلك من علم التفسير ، وإنما هو من فوائد التفصيل والتسوير ] <sup>(٢)</sup>.

#### التعليق

هذه العبارة التي أوردها المؤلف يمكن أن نستفيد منها فائدة مهمة نوضحها فيما يلي :  
اعترض المؤلف هنا على الزمخشري في إيراد أموراً ليست من علم التفسير فهل نفهم من ذلك أن كل ما أورده أبو حيان في كتابه إنما هو من علم التفسير ؟ ، ومن المعلوم أن أبا حيان ذكر في كتابه أشياء كثيرة ليست من علم التفسير ، فهل نتقده نحن أيضاً في هذا بناءً على انتقاده للزمخشري ؟ فنقول : لا بد أن ننتبه إلى ملحظ علمي مهم وهو أن انتقاده هنا لهذا المنهج الذي سلكه الزمخشري لا يعني التزامه به ، ولو طبقنا عليه - رحمه الله - انتقاده للزمخشري لوجدنا في كتابه معلومات كثيرة ليست من علم التفسير ، وإنما مراده أن ينبهنا أن هذه الفائدة التي ذكرها الزمخشري ليست من علم التفسير ؛ فلا يصح أن نبيّ علي انتقاده أكثر من هذا ونلزمه منهجاً لم يشترطه على نفسه ، و يستفاد من انتقاده للزمخشري فائدة علمية في المنهجية العامة للتفسير و هي أنه ليس كل ما ذكره المفسرون في كتبهم يعتبر من علم التفسير .

\*\*\*\*\*

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ١٢٩ ) .

(٢) " البحر المحيط " ( ١ / ٢٤٥ ) .

النموذج الثالث : قال المؤلف - رحمه الله - عند تفسيره لقول الله ﷻ ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ البقرة: ٣٥ : [ وقد تكلم بعض الناس على أحكام السكنى ، والعمرى ، والرقيى ، وذكر كلام الفقهاء في ذلك ، واختلافهم حين فسر قوله تعالى : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ البقرة: ٣٥ ، وليس في الآية ما يدل على شيء مما ذكر ] <sup>(١)</sup> .

#### التعليق

الترجم المؤلف هنا بمنهجه كما ذكر سابقاً أنه لا يتكلم في القضايا الفقهية التي لم تشر إليها الآيات ولم يدل عليها في وجه من وجوه الاستنباطات ، والكلام على السكن وغيره لا علاقة له بالآية ، والذي قصده المؤلف بهذا الكلام هو القرطبي حيث استطرد في أحكام السكن عندما فسر هذه الآية .

\*\*\*\*\*

النموذج الرابع : قال المؤلف - رحمه الله - عند تفسيره لقول الله ﷻ ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ البقرة ٥١ : [ وقد نقل المفسرون عن ابن عباس والسدي وغيرهما قصصاً كثيراً مختلفاً في سبب اتخاذ العجل ، وكيفية اتخاذه ، وانجر مع ذلك أخبار كثيرة ، الله أعلم بصحتها ، إذ لم يشهد بصحتها كتاب ولا حديث صحيح ، فتركنا نقل ذلك على عادتنا في هذا الكتاب ] <sup>(٢)</sup> .

#### التعليق

يمكن أن نأخذ من هذا الكلام منهجه أيضاً ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته وأنه لا يذكر الأخبار التي لم تصح عنده .

\*\*\*\*\*

النموذج الخامس : قال المؤلف - رحمه الله - عند تفسيره لقول الله ﷻ ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ البقرة ٦٤ : [ لولا : للتخصيص بمنزلة هلاً ، فيليها الفعل ظاهراً أو مضمرأ ، وحرف امتناع لوجود فيكون لها جواب ، ويجيء بعدها اسم مرفوع بها عند الفراء ، وبفعل محذوف عند الكسائي ، وبالابتداء عند البصريين ، والخبر محذوف عند جمهورهم ، وعند بعضهم فيه تفصيل ذكرناه في (منهج السالك) من تأليفنا ، وليست جملة الجواب الخبر ، خلافاً لأبي الحسين بن الطراوة ، وإن وقع بعدها مضمر فيكون ضمير رفع مبتدأ عند البصريين ، ويجوز أن يقع

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ٣٠٧ ) .

(٢) " البحر المحيط " ( ١ / ٣٥٩ ) .

بعدها ضمير الجر فتقول : لولاني ولولاك ولولاه ، إلى آخرها ، وهو في موضع جر بلو لا عند سيبويه ، وفي موضع رفع عند الأخفش ، استعير ضمير الجر للرفع ، كما استعاروا ضمير الرفع للجر في قولهم : ما أنا كانت ، ولا أنت كانا . والترجيح بين المذهبين المذكور في النحو [ <sup>(١)</sup> ] .

### التعليق

هذا التفصيل في قضية (( لولا )) ينتقد على أبي حيان ، لأنه خالف منهجه بذلك ومع محاولته الاختصار إلا أن علمه الذي برع فيه قد غلب عليه فراح يختصر هذه القضية في نظره ثم يقول إن تفصيلها في كتب النحو ، ولاشك أن هذا مخالف لمنهجية التفسير لعدم فائدته في بيان المعنى ولا علاقة له باللفظة المراد بيانها في الآية ، لكن كما قلنا إن العلم الذي تميز به الإنسان يغلب عليه دائماً وفي ظني أن أبا حيان لو تكلم في أسانيد الرجال لتطرق أيضاً إلى قضايا علم النحو .

ونحن لا نعيب عليه في سيره على هذا المنهج لكن أن يكون هذا مراداً في علم التفسير فعندئذٍ نعترض عليه ؛ ولهذا قال : [ والترجيح بين المذهبين المذكور في النحو ] فبين أن ما ذكره إنما هو من علم النحو وليس من علم التفسير ، وهذه المعلومات وأمثالها هي التي صعبت علم التفسير .

\*\*\*\*\*

النموذج السادس : قال المؤلف - رحمه الله - عند تفسيره لقول الله ﷻ ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا آوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة ١٠٦ : [ وقد تكلم المفسرون هنا في حقيقة النسخ الشرعي وأقسامه ، وما اتفق عليه منه ، وما اختلف فيه ، وفي جوازه عقلاً ، ووقوعه شرعاً ، وبماذا ينسخ ، وغير ذلك من أحكام النسخ ودلائل تلك الأحكام ، وطولوا في ذلك . وهذا كله موضوعه علم أصول الفقه ، فيبحث في ذلك كله فيه . وهكذا جرت عادتنا : أن كل قاعدة في علم من العلوم يرجع في تقريرها إلى ذلك العلم ، ونأخذها في علم التفسير مسلمة من ذلك العلم ، ولا نطول بذكر ذلك في علم التفسير ، فنخرج عن طريقة التفسير ، كما فعله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي ، المعروف بابن خطيب الري ، فإنه جمع في كتابه في التفسير أشياء كثيرة طويلة ، لا حاجة بها في علم التفسير . ولذلك حكى عن بعض المتطرفين من العلماء أنه قال : فيه كل شيء إلا التفسير .

وقد ذكرنا في الخطبة ما يحتاج إليه علم التفسير . فمن زاد على ذلك ، فهو فضول في هذا العلم ، ونظير ما ذكره الرازي وغيره ، إن النحوي مثلاً يكون قد شرع في وضع كتاب في النحو ، فشرع يتكلم في الألف المنقلبة ، فذكر أن الألف في الله ، أهي منقلبة من ياء أو واو ؟ ثم استطرد من ذلك إلى الكلام في الله تعالى ، فيما يجب له ويجوز عليه ويستحيل ، ثم استطرد إلى جواز إرسال الرسل منه تعالى إلى

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ٤٠٣ ) .

الناس ، ثم استطرد إلى أوصاف الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) ، ثم استطرد من ذلك إلى إعجاز ما جاء به القرآن وصدق ما تضمنه ، ثم استطرد إلى أن من مضمونه البعث والجزاء بالثواب والعقاب . ثم المثابون في الجنة لا ينقطع نعيمهم ، والمعاقبون في النار لا ينقطع عذابهم . فبينما هو في علمه يبحث في الألف المنقلبة ، إذا هو يتكلم في الجنة والنار ، ومن هذا سبيله في العلم ، فهو من التخليط والتخييط في أقصى الدرجة ، وكان أستاذنا العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ، قدس الله تربته ، يقول ما معناه : متى رأيت الرجل ينتقل من فن إلى فن في البحث أو التصنيف ، فاعلم أن ذلك ، إما لقصور علمه بذلك الفن ، أو لتخليط ذهنه وعدم إدراكه ، حيث يظن أن المتغيرات متماثلات . وإنما أمعنت الكلام في هذا الفصل لينتفع به من يقف عليه ، ولئلا يعتقد أنا لم نطلع على ما أودعه الناس في كتبهم في التفسير ، بل إنما تركنا ذلك عمداً ، واقتصرنا على ما يليق بعلم التفسير . وأسأل الله التوفيق [ (١) ] .

#### التعليق

و هذا التعميد الذي قَعده المؤلف هنا يخالف ما سلكه من ذكر الاستطرادات النحوية في كتابه والتي انتقدتها على غيره في أكثر من موضع .

\*\*\*\*\*

---

(١) " البحر المحيط " ( ١ / ٥١١ ) .

## فهرس الموضوعات

١	مقدمة التفرغ.....
٢	بيان معنى ( المنهج - المفسر - الاتجاه ).....
٥	المسائل التي تبحث لبيان منهج المفسر.....
٩	فوائد البحث في مناهج المفسرين.....
١٠	طرق الوصول إلى منهج المفسر.....
١١	أنواع الدراسة في مناهج المفسرين.....
١٤	سبب اختلاف مناهج المفسرين.....
١٥	دراسة تطبيقية لمناهج المفسرين من خلال مقدمة أبي حيان في تفسيره " البحر المحيط ".....
٢٧	نماذج تطبيقية من تفسير " البحر المحيط " لأبي حيان.....
٣١	فهرس الموضوعات.....